جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

كتاب الواعظ

١٠

شوال ١٤٣٨هـ

إشراف

صبري بن محمد عبد المجيد

أحمد بن سليمان أيوب

إعداد

اللجنة العلمية

شروط قبول العمل

أركان قبول العمل أسباب قبول العمل
عقبات في طريق قبول الأعمال كيفية المحافظة على الأعمال الصالحة

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وكلما نقص الإيمان نقصت المحبة، فعلى العبد المؤمن أن يسعى بكل طاقته وقدر استطاعته إلى زيادة الإيمان في قلبه بفعل المأمورات وترك المنهيات، وأول خطوة نحو تحقيق ذلك، بل وأسه وأساسه، تحقيق العبودية لله وتحقيق المتابعة لرسوله ﷺ وذلك بتحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، فلا يقوم العبد المؤمن بأي عبادة ويرجو من الله قبولها، إلا بتحقيق الإخلاص لله عز وجل، واتباع سنة نبيه محمد ﷺ، ويجعل نصب عينيه أن أي عمل دخله شيء من الشرك الأكبر أو الأصغر، فإن ذلك العمل غير مقبول، وأن أي عمل ليس موافقاً لسنة وهدي سيد المرسلين ﷺ فإن ذلك العمل مردود وغير مقبول، ويستيقن العبد المؤمن في نفسه أن الشرك الأكبر يبطل جميع الأعمال، قال تعالى في خطابه لسيد الموحدين ﷺ: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } [الزمر: ٦٥، ٦٦][1].

وقال الله جل وعلا:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٥].

---

[1] موسوعة خطب المنبر (ص: ١٥٦٦).

قال ابن القيم رحمه الله: "إن الله جعل الإخلاص والمتابعة سببا لقبول الأعمال فإذا فقد لم تقبل الأعمال".[١]

وقال تبارك وتعالى:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

أركان قبول العمل الصالح

الركن الأول إخلاص العمل لله وحده.

والركن الثاني المتابعة للرسول ﷺ.

الركن الأول: فإن الله جل جلاله لا يقبل عمل أي عامل إلا أن يكون هذا العمل خالصًا لله، يبتغي به عامله وجه الله والدار الآخرة، فإن يكن العمل رياءَ الناس ومحبة مديح الناس، وثناء الناس عليه، ولم يكن المقصود منه التقرب إلى الله، كان عملاً باطلاً.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " ، وفي رواية ابن خزيمة:" أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمَلَ عَمَلاً فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ" ، وَفي رواية: "فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَلْيَلْتَمِسْ ثَوَابَهُ مِنْهُ".[٢]

أما الركن الثاني: هو أن يكون هذا العمل على وفق ما دل عليه كتاب الله وسنة محمد ﷺ ، فكل عمل على خلاف كتاب الله وخلاف سنة رسول الله ﷺ فإن الله لا يقبله من عامله، ولو أراد به التقرب إلى الله، قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية: ٢ - ٤].

---

١ الروح (١/ ١٣٥).

٢ صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٩)

فهؤلاء عملوا أعمالا لكنها على خلاف شرع الله، قال تعالى:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا} [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

وقال تعالى:{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣] ، فلا بد أن يكون العمل على وفق ما دل الكتاب والسنة عليه. وقد أنكر الله تعالى على من اهتدى بغير كتابه وسنة رسوله ﷺ فقال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: ٢١].

الركن الثالث: أن يكون فاعله مؤمناً؛ لأن الله يقول: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل/٩٧].[١]

فلابد من الإيمان لله جل وعلا فمن انحَرفَ عن الإيمان فوقع في الإشراك أو الكفر بالرحمن، فمهما عمل من الأعمال الحسان ترد عليه ولا تقبل عند ذي الجلال والإكرام، وقد قرر الله هذا في كثير من آيات القرءان فقال جل وعلا: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢] .

وقال جل وعلا: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: ٤٨].

وقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦].

---

١ مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة (ص: ٤١٢).

أخبرنا الله جل وعلا أن من خرج عن الإيمان فهو من أهل الخسران {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [المائدة: ٥]، فإذا لم يتصف الإنسان بصفة الإيمان أعماله مردودة عند ذي الجلال والإكرام، فلو قدر أنه قام بصدقة أو صلة رحم أو غير ذلك من أنوع البر كل هذا سيرد عليه ولا يقبل عند الله عز وجل.[١]

إذا فالعمل الصالح ما وافق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكان صاحبه من المؤمنين، فإن كان هذا العمل خالصاً ولكنه على خلاف شرع الله ما قبله الله تعالى.

فعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ".[٢] وفي رواية عنها ﵂ قالت، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".[٣]

قال ابن رجب ﵀: "هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث " إنما الأعمال بالنيات " ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يُراد به وجه الله تعالى، فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء".[٤]

---

١ خطب ودروس الشيخ عبد الرحيم الطحان (٥٦/ ٢).

٢ صحيح البخاري (٣/ ١٨٤) رقم ٢٦٩٧، صحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣) رقم ١٧(١٧١٨).

٣ صحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣) رقم ١٨(١٧١٨).

٤ جامع العلوم والحكم لابن رجب(١/ ١٧٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".[١]

فانظر كيف جعل الإيمان والاحتساب شرطا في مغفرة الذنوب ، فلا بد من الإخلاص، ولا بد من موافقة شرع الله.

إن المستقريء لنصوص الكتاب والسنة يجد أن الأدلة قد استفاضت بذكر أركان وشروط العمل الصالح، وأن رفعه إلى الله وقبوله مرهون بتحقيق هذه الشروط والأركان، وبقدر الإخلال في تحقيقها يكون حساب العبد ومنزلته، فإن حقق هذه الشروط والأركان سعد ونجا، وإن أخل بها هلك وحبط عمله.

قال الله تبارك وتعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠] فمفهوم هذه الآية: أن الله تبارك وتعالى لا يرفع إليه إلا العمل الصالح.

إن العبد العاصي إذا وقف على شفير النار يوم القيامة يقول: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر: ٢٤] فهذه هي الحياة حقاً: أن ينجو من النار، وأن يدخل الجنة.

فدخول الجنة والنجاة من النار مرهونة بتحقيق ركني العمل الصالح وشرطيه، وبقدر الخلل في تحقيق الركنين والشرطين يكون حساب العبد وتكون منزلته.[٢]

فيا أيها العبد، إذا وُفقت لعمل صالح فاعلم أن هذا من فضل الله عليك، وكرمٌ الله عليك، وكم ضل أقوام وزاغت قلوب أقوام ما وفقهم الله للصواب، والله يقول لنبيه{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ

---

١ صحيح البخاري (٣/ ٤٥) رقم ٢٠١٤، صحيح مسلم (١/ ٥٢٣) رقم ١٧٥(٧٦٠).

٢ دروس للشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله.

شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: ١١٣].[١]

فما أحوجنا إلى هذا التثبيت، وما أفقرنا إلى هذا الفضل وهذه الرحمة من الله تبارك وتعالى.

أسباب قبول العمل الصالح

١- **الدعاء** قال تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم } [البقرة: ١٢٧].

وقال تعالى عن امرأة عمران {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [آل عمران: ٣٥].

٢- **الاستغفار** قال تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيم} [البقرة: ١٩٩].

وعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا وَقَالَ: "اللهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ" قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ: "كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ ".[٢]

يقول ابن القيم رحمه الله: "وإِنَّ الْعَارِفَ لَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عُقَيْبَ طَاعَتِهِ. وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلاَةِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ثَلاَثًا، وَأَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالاِسْتِغْفَارِ عُقَيْبَ الْحَجِّ. وَمَدَحَهُمْ عَلَى الاِسْتِغْفَارِ عُقَيْبَ قِيَامِ اللَّيْلِ. وَشَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ عُقَيْبَ الطُّهُورِ التَّوْبَةَ وَالاِسْتِغْفَارَ.[٣]

---

١ موسوعة خطب المنبر (ص: ٢٥٦١).

٢ صحيح مسلم (١/ ٤١٤) رقم ١٣٥(٥٩١).

٣ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٦٢).

٣- استشعار المؤمن لتقصيره في عمله ومنة الله عليه، وتوفيقه لهذا العمل، وأنه لولاه لما حصل، قال تعالى: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين} [الحجرات: ١٧].

يقول ابن القيم رحمه الله: "وَقَدْ قِيلَ: وَعَلاَمَةُ قَبُولِ الْعَمَلِ احْتِقَارُهُ وَاسْتِقْلاَلُهُ، وَصِغَرُهُ فِي قَلْبِكَ. فَمَنْ شَهِدَ وَاجِبَ رَبِّهِ وَمِقْدَارَ عَمَلِهِ، وَعَيْبَ نَفْسِهِ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ اسْتِغْفَارِ رَبِّهِ مِنْهُ، وَاحْتِقَارِهِ إِيَّاهُ وَاسْتِصْغَارِهِ.[١]

٤- أن يَحِسَّ العبد بلذة العبادة فتكون أنسه وراحته، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبِي، إِلَى صِهْرٍ لَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ نَعُودُهُ فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَقَالَ لِبَعْضِ أَهْلِهِ: يَا جَارِيَةُ ائْتُونِي بِوَضُوءٍ لَعَلِّي أُصَلِّي فَأَسْتَرِيحَ، قَالَ: فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "قُمْ يَا بِلاَلُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ".[٢]

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ ذلك فقال: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِين} [البقرة: ٤٥].

قال بعض أهل العلم: خفة الطاعة من آثار محبة المطاع وإجلاله، فإن قرة عين المحب في طاعة المحبوب، وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ".[٣]

٥- أن يوفق العبد لطاعة بعدها، وإن من علامات قبول الحسنة: فعل الحسنة بعدها، فإن الحسنة تقول: أختي أختي. وهذا من رحمة الله تبارك وتعالى وفضله؛ أنه يكرم عبده إذا فعل حسنة،

---

١ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٦٢).

٢ أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٢٩٦) ٤٩٨٦، وانظر صحيح الجامع (٢/ ١٣٠٧) ٧٨٩٢ - ٢٩٨٦.

٣ حسن أخرجه النسائي في سننه (٧/ ٦١) رقم ٣٩٤٠، وأحمد في مسنده (٢١/ ٤٣٣) رقم ١٤٠٣٧، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٤٨) رقم ٥٢٦١ [٣١].

وأخلص فيها لله أنه يفتح له باباً إلى حسنة أخرى؛ ليزيده منه قرباً ، فالعمل الصالح شجرة طيبة، تحتاج إلى سقاية ورعاية، حتى تنمو وتثبت، وتؤتي ثمارها، وإن أهم قضية نحتاجها أن نتعاهد أعمالنا الصالحة التي كنا نعملها، فنحافظ عليها، ونزيد عليها شيئاً فشيئاً. وهذه هي الاستقامة التي تقدم الحديث عنها.[١]

الخوف من عدم قبول العمل

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُون * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُون * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُون * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُون *} [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ تُقْبَلَ مِنْهُمْ {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}.[٢]

قال العلامة الألباني رحمه الله : "والسر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم، ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم، فإن هذا خلاف وعد الله إياهم في مثل قوله تعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [النساء: ١٧٣] ، بل إنه ليزيدهم عليها كما قال تعالى {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٣٠] ، والله تعالى (لا يخلف وعده) كما قال في كتابه، وإنما السر أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عز وجل، وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله،

---

١ أرشيف منتدى الفصيح.

٢ صحيح لغيره أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ١٨٠) رقم ٣١٧٥، وابن ماجه في سننه (٥/ ٢٨٧) رقم ٤١٩٨، وغيرهما وله شاهد من حديث أبي هريرة وانظر السلسلة الصحيحة (١/ ٣٠٤) رقم ١٦٢.

بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون أن لا تقبل منهم. فليتأمل المؤمن هذا عسى أن يزداد حرصا على إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله، وذلك بالإخلاص فيها له، واتباع نبيه ﷺ في هديه فيها. وذلك معنى قوله تعالى {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف: ١١٠] ".[١]

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة يخشون أن تحبط أعمالهم، وأَلَّا تُقبَل منهم لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم.

يقول عبد الله بن أبي مليكة رحمه الله: " أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ".[٢]

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَيْمِيُ رحمه الله: "مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا".[٣]

وكَانَ مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشخير رحمه الله يَقُولُ: " اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي صَلاَةَ يَوْمٍ , اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي صَوْمَ يَوْمٍ , اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي حَسَنَةً، ثُمَّ يَقُولُ: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].[٤]

فالإيمان والخشية يدفعان العبد للمداومة على العمل الصالح الذي يستوفي شروط قبوله:

عقبات في طريق قبول الأعمال

يعرض للعامل إذا عمل عملاً صالحاً كالصلاة، والصيام، والصدقات ونحوها ثلاث آفات.

١ـ رؤية العمل. **٢ـ طلب العوض عليه.** **٣ـ رضاه به وسكونه إليه.**

١ – فالذي يخلِّصه من رؤية عمله: مطالعته لمنة الله عليه، وتوفيقه له، وأنه من الله وبه لا من العبد.

---

١ السلسلة الصحيحة للألباني (١/ ٣٠٦).

٢ صحيح البخاري (١/ ١٨) معلقاً.

٣ صحيح البخاري (١/ ١٨) معلقاً.

٤ صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٧٨) رقم ٣٥١٢١، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٧٥٩) رقم ١٠٦٢.

٢ - والذي يخلِّصه من طلب العوض عليه: علمه بأنه عبد محض مملوك لسيده لا يستحق على الخدمة أجرة، فإن أعطاه سيده شيئاً من الأجرة والثواب فهو إحسان وإنعام من سيده لا عوضاً عن العمل.

٣ - والذي يخلِّصه من رضاه بعمله وسكونه إليه: مطالعة عيوبه، وتقصيره في عمله وما فيه من حظ النفس والشيطان، وعلمه بعظيم حق الله، وأن العبد أعجز وأضعف أن يقوم به على الوجه الأكمل، نسأل الله الإخلاص والعون والاستقامة.[١]

وقد لا يُقْبَلُ العمل وإن كان كثيراً في نظر صاحبه، إما لِعُجبٍ، أو رياءٍ، أو غرورٍ، أو منةٍ صاحبت ذلك العمل، فكانت سبباً لِرَدِّهِ، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى} [البقرة: ٢٦٤].

وأعظم موانع قبول العمل: الشرك، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِين} [آل عمران: ٩١]. فمن تَعَبَّدَ لله بدين غير دين الإسلام فلن تقبل منه أعماله ولو كثرت، قال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين} [آل عمران: ٨٥].

إذاً فليس الشأن في العمل الصالح القيام به فحسب، إنما الشأن في المحافظة على العمل مما يفسده ويحبطه، فالرياء وإن دق مفسد للعمل، وهو أبواب كثيرة لا تحصر، وكون العمل غير مقيد باتباع السنة محبط للعمل، والمن به على الله تعالى بقلبه مفسد له، وأذى الخلق منقص له، وتعمد مخالفة أوامر الله والاستهانة بها مبطل له ونحو ذلك.[٢]

كيفية المحافظة على الأعمال الصالحة

---

[١] مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة (ص: ٤١٢).

[٢] مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة (ص: ٤١٢).

وهذا لا يكون إلا بحسن الأخلاق فلو كانت أعمال العبد كالجبال وهو يؤذي الناس فهو خاسر؛ لأن الناس يأخذون حسناته يوم القيامة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟" قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ".[١]

ولا ينبغي للمؤمن أن يحتقر العمل وإن كان قليلاً، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ".[٢]

فقد يُقبل العمل مهما كان قليلاً ويكون سبباً لدخول الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ".[٣]

يقول الحافظ ابن حجررحمه الله: "ينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها، ولا السيئة التي يسخط عليه بها".[٤]

---

١ صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٧) رقم ٥٩(٢٥٨١).

٢ صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٦) رقم ١٤٤(٢٦٢٦).

٣ صحيح البخاري (٤/ ١٧٣) رقم ٣٤٦٧، صحيح مسلم (٤/ ١٧٦١) رقم ١٥٥(٢٢٤٥).

٤ فتح الباري (١١/ ٣٢١).

صلة الرحم

معنى صلة الرحم. فضل صلة الأرحام وحرمة قطعها.
صور من الصلة وكيفيتها. ثمرات صلة الرحم.

معنى صلة الرحم:

الصلة من وَصَلْتُ الشيء وَصْلاً وَصِلَةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران. قال ابْنُ سِيدَهْ: الوَصْل خِلاَفُ الفَصْل, ووَصَلَ الشيءَ بِالشَّيْءِ يَصِلُه وَصْلاً.[١]

وقَالَ الْجَوْهَرِيُّ رحمه الله: الرَّحِمُ الْقَرَابَةُ.[٢]

قَالَ ابْنُ الأَثير رحمه الله: هِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الإِحْسان إِلَى الأَقْرَبينَ، مِنْ ذَوِي النَّسَب والأَصْهار، والتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ، والرِّفْقِ بِهِمْ، والرِّعايةِ لأَحْوالِهم. وَكَذَلِكَ إِنْ بَعُدُوا أَوْ أَسَاءوا، وقَطْع الرَّحِم ضدُّ ذَلِكَ كلِّه.[٣]

وقال النووي رحمه الله: وأما صلة الرحم فهي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك.[٤]

حقيقة صلة الرحم:

ليسَت صلةُ الرّحم بتبادُل المنافع، إنْ وصَلك رحمُك وصَلتَه، وإن نأى عنك وابتعَد نأيتَ عنه، ليس الصلة على هذه الصّفة، فتلك مكافأةُ البعض للبعض، ولكن

---

[١] لسان العرب (١١/ ٧٢٦).

[٢] لسان العرب (١٢/ ٢٣٢).

[٣] النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٩١).

[٤] شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠١).

أمر صلة الرّحم فوقَ هذا كلّه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا».[١]

قال ابن القيم رحمه الله: وَلَيْسَ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ تَرْكُ الْقَرَابَةِ تَهْلَكُ جُوعًا، وَعَطَشًا، وَعُرْيًا، وَقَرِيبُهُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ مَالًا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ وَإِنْ كَانَتْ لِكَافِرٍ، فَلَهُ دِينُهُ وَلِلْوَاصِلِ دِينُهُ.[٢]

فضل صلة الأرحام وحرمة قطعها:

من أعظم فضائل صلة الرحم:

١- أنَّ الله أوجبها على عباده فى كتابه:

ففي كتابِ اللهِ أدلةٌ كثيرةٌ تدلُ على وجوبِ صلةِ الرحم منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

قال ابن كثير رحمه الله: قَوْلُهُ: ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أَيْ: يَأْمُرُ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ.[٣]

وقال الطبري رحمه الله:وإعطاء ذي القربى الحقّ الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم.[٤]

---

[١] صلة الرحم ,للشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ, والحديث أخرجه البخاري (٥٩٩١).

[٢] أحكام أهل الذمة (٢/ ٧٩٢).

[٣] تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٥).

[٤] تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٩).

"**قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ:** صِلَةُ الرَّحِمِ فَرْضٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. **وقَالَ مُجَاهِدٌ:** لَا تُقْبَلُ صَدَقَةٌ مِنْ أَحَدٍ وَرَحِمُهُ مُحْتَاجَةٌ.[١]

٢- علامةٌ على الإيمان بالله واليوم الآخر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».[٢]

والحديثُ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْقَاطِعَ كَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لِعَدَمِ خَوْفِهِ مِنْ شِدَّةِ الْعُقُوبَةِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى الْقَطِيعَةِ.[٣]

٣- صلةُ الرحمِ من أحبِ الأعمالِ إلى الله تعالى بعدَ الإيمان:

وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ خَثْعَمَ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهو فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ , فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ , أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ», قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِمِ».[٤]

٤- أنَّها مقدمةٌ على عتقِ الرقاب:

---

[١] تفسير القرطبي (١٤/ ٣٥).

[٢] أخرجه البخاري (٦١٣٨).

[٣] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٧٣٢).

[٤] الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٥/ ١٥٤), وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٦٦).

عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الحَارِثِ ﵂ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي، قَالَ: «أَوَفَعَلْتِ»؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ».[١]

قال القاضي عياض ﵀: وفيه أن صلة الرّحِم أفضل من العتق، وقد قال مالك: الصدقة عَلى الأقارب أفضل من عتق الرقاب.[٢]

خطر قطيعة الرحم:

وإن كانت صلة الرحم من أفضل الأعمال إلى الله فإن قطيعة الرحم من أبغض الأعمال إلى الله، وكما جاء عن النبي ﷺ أنَّ رجلاً سَئَلَه فقال يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَبْغَضُ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الأَمْرُ بِالمُنْكَرِ وَالنَّهْيِ عَنِ المَعْرُوفِ».[٣]

١- قطيعة الرحم من أمور الجاهلية:

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

قال ابن كثير ﵀ : قوله تعالى: ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أيْ: تَعُودُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ

---

[١] أخرجه البخاري (٢٥٩٢), ومسلم(٢٢٨٠).

[٢] إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٥١٩).

[٣] أخرجه أبو يعلى مسنده (٦٨٣٩), وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٦٦).

الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلاَءِ، تَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ وَتُقَطِّعُونَ الْأَرْحَامَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ وَهَذَا نَهْيٌ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ عُمُومًا، وَعَنْ قَطْعِ الْأَرْحَامِ خُصُوصًا، بَلْ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِصْلاَحِ فِي الْأَرْضِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ فِي الْمَقَالِ وَالْأَفْعَالِ وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ.[١]

٢-قطيعةُ الرحم سببٌ للخسران فى الدنيا والآخرة وسببٌ للعنةِ الله:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

قال الشيخ السعدى رحمه الله: فحصر الخسارة فيهم; لأن خسرانهم عام في كل أحوالهم; ليس لهم نوع من الربح".[٢]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

٣-قطيعةُ الرحمِ تمنعُ من دخولِ الجنةِ:

عَنْ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ».[٣]

قوله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» أَيْ: قَاطِعُ الرَّحِمِ وَقَدْ تَعَارَفَ إِطْلَاقُ الْقَطْعِ فِي قَطْعِهَا كَالصِّلَةِ فِي وَصْلِهَا وَهَذَا تَشْدِيدٌ وَتَهْدِيدٌ أَوِ الْمُرَادُ مَنْ يَسْتَحِلُّ الْقَطْعَ.

وقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رحمه الله : يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ.[٤]

---

[١] تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٨).

[٢] تفسير السعدي (ص: ٤٨).

[٣] أخرجه البخاري (٥٩٨٤),ومسلم(٦٦١٢).

[٤] عون المعبود وحاشية ابن القيم (٥/ ٧٨).

ثالثا: صور من الصلة وكيفيتها:

وأعظمُ الناس برا وصلةً بأرحامهم همُ الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى رأسهم المصطفى ﷺ، ففي بدايةِ دعوتِه صلوتُ اللهِ عليه قالت السيدةُ خديجة رضي الله عنها حينَ جَاءَهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ: فَقَالَتْ لَهُ: كَلاَّ، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ.[1]

قال ابن القيم رحمه الله: فاستدلت رضي الله عنها بمعرفتها بِاللَّه وحكمته وَرَحمته على أَن من كَانَ كَذَلِك فَإِن الله لَا يخزيه وَلَا يَفْضَحهُ بل هُوَ جدير بكرامة الله واصطفائه ومحبته وتوبته وَهَذِه المقامات فِي الْإِيمَان عجز عَنْهَا أَكثر الْخلق.[2]

ومن أعظم صور البر :

١-التودد إليهم بدفع الصدقات إليهم:

فعن أَنَس بن مالك رضي الله عنه أَنَّه قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُ حَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخٍ، ذَلِكَ

[1] أخرجه البخاري (٣), ومسلم(٣٢٢).

[2] مفتاح دار السعادة (٢/ ١٣).

مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.[١]

قال ابن بطال رحمه الله: فثبت بهذا المعنى أن الصدقة على الأقارب وضعفاء الأهلين أفضل منها على سائر الناس إذا كانت صدقة تطوع.[٢]

٢- معرفة أنساب الأقارب:

عن سَعِيد بْن عَمْرو قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: فَمَتَّ لَهُ بِرَحِمٍ بَعِيدَةٍ، فَأَلاَنَ لَهُ الْقَوْلَ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اعْرِفُوا أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّهُ لاَ قُرْبَ بِالرَّحِمِ إِذَا قُطِعَتْ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً، وَلاَ بُعْدَ بِهَا إِذَا وُصِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً».[٣]

قوله ﷺ: «اعْرِفُوا أَنْسَابَكُمْ» جمع نسب وَهُوَ الْقَرَابَة أَي تعرَّفُوها وافحَصُوا عَنْهَا، «تَصِلُوا أَرْحَامكُم» أَي لأجلِ أَن تصلوها بِالْإِحْسَانِ أَو أَنَّكُمْ إِن فَعلْتُمْ ذَلِك وصلتموها.[٤]

---

[١] أخرجه البخاري (١٤٦١).

[٢] شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٨١).

[٣] أخرجه الطيالسي فى مسنده(٤/ ٤٧٣),صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٠٥١).

[٤] التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٧٠).

وعن جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكُمْ، ثُمَّ صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ الشَّيْءُ، وَلَوْ يَعْلَمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنْ دَاخِلَةِ الرَّحِمِ، لَأَوْزَعَهُ ذَلِكَ عَنِ انْتِهَاكِهِ.[١]

٣- ومن الصلة النصرة لهم فى الحق ورد الظلم عنهم:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ».[٢]

قال ابن بطال رحمه الله: والنصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسرَه رسولُ الله ﷺ أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركته على ظلمه ولم تكفه عنه أداه ذلك إلى أن يقتص منه؛ فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره.[٣]

٤- دعوتُهم للتمسكِ بكتابِ اللهِ وسنةِ نَبِيِّه ﷺ فى جُلِ الأحوال:

عَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ ﷺ قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، وَيَقُولُ: «وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».[٤]

---

[١] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٢), وقال الألباني حسن الإسناد في صحيح الأدب المفرد (٥٣).

[٢] أخرجه البخاري (٦٥٩٢).

[٣] شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ٥٧٢).

[٤] أخرجه النسائي فى الكبرى (٢٣٢٣),وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٨٠٦٧).

قال النووي رحمه الله: قال أصحابنا: يستحب أن تقدمَ في البر الأم ثم الأب ثم الأولاد ثم الأجداد والجدات ثم الإخوة والأخوات ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام كالأعمام والعمات والأخوال والخالات ويقدمُ الأقربُ فالأقربُ.[١]

وقال السعدى رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ أي :الذين هم أقرب الناس إليك، وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي.[٢]

رابعا: ثمرات صلة الرحم :

١-بركةٌ فى الأرزاق وزيادةٌ فى الأعمار وعمارةٌ للديار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».[٣]

عنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ».[٤]

قال السعدى رحمه الله: هذا الحديث فيه الحث على صلة الرحم، وبيان أنها كما أنها موجبة لرضى الله وثوابه في الآخرة، فإنها موجبة للثواب العاجل، بحصول أحب

---

[١] شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٠٣).

[٢] تفسير السعدي (ص: ٥٩٩).

[٣] أخرجه البخاري (٥٩٨٥),ومسلم(٦٦١٦).

[٤] أخرجه أحمد (٢٥٢٥٩),قال الألبانى فى الصحيحة (٥١٩)وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

الأمور للعبد، وأنها سبب لبسط الرزق وتوسيعه، وسبب لطول العمر. وذلك حق على حقيقته; فإنه تعالى هو الخالق للأسباب ومسبباتها.[١]

٢- سبب في دخول الجنة:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأنصاري ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، قَالَ: مَا لَهُ مَا لَهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَبٌ مَا لَهُ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ».[٢]

في الحديث: دليل على أنّ من وحّدَ الله، وقام بأركان الإسلام، ووصَلَ رَحِمَهُ دخل الجنة.[٣]

٣-أنَّ صلةَ الرحمِ أعجلُ الطاعاتِ ثوابا للعبد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيْسَ شَيْءٌ أُطِيعَ اللهَ فِيهِ أَعْجَلُ ثَوَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ.[٤]

٤- صلةُ اللهِ لمن وَصَلَ رَحِمَه:

---

[١] بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (ص: ١٧٢).

[٢] أخرجه البخاري (١٣٩٦).

[٣] تطريز رياض الصالحين (ص: ٢٣٠).

[٤] أخرجه البيهقي في الكبرى (١٩٨٧٠),وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٥٣٩١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ».[١]

في هذا الحديث حث وترغيب في صلة الرحم، فإذا أردت أن يصلك الله, وكل إنسان يريد أن يصله ربه . فصل رحمك، وإذا أردت أن يقطعك الله فاقطع رحمك، جزاء وفاقاً، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل؛ كان الله له أوصل، وكلما قصَّرَ جاءه من الثوب بقدر ما عمل، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].[٢]

قال ابن أبي جمرة رحمه الله: الوصلُ من الله كناية عن عظيم إحسانه وإنما خاطب الناس بما يفهمون ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال وهو القرب منه وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه".[٣]

وقال الطبري رحمه الله: معنى وصل الله تعالى عبده إذا وصل رحمه، فهو تعطفه عليه بفضله، إما فى عاجل دنياه أو آجل آخرته.[٤]

---

[١] أخرجه البخاري (٥٩٨٧), ومسلم(٦٦١٠).

[٢] شرح رياض الصالحين (٣/ ١٨٦).

[٣] فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤١٨).

[٤] شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٠٥).

تذكير الآباء بضرورة تربية الأبناء

عناصر الخطبة:

أهمية الموضوع الأبناء نعمة الأبناء أمانة أثر إهمال التربية مفهوم التربية بعض جوانب التربية

مقدمة: إن تربية الأبناء عمل عظيم، حريّ أن تُبذل فيه الأوقات والأموال والطاقات، بل صار في هذه الأيام - خاصة - من الأمور المهمة والقضايا الملحة ، لما نراه من ضياع المبادئ والأصول عند كثير من أبنائنا وشبابنا ، واسأل بيوتنا ومدارسنا وشوارعنا وأسواقنا تنبيك الخبر.

- أهميةُ الموضوع

١- التربية هي امتداد لمنهج الرسول ﷺ وصحابته من بعده والسلف الصالح.

٢- الناظرُ لواقعِ الأمة يجدُ وضعاً سيئاً لم يمر عليها طوالَ الأزمنةِ المتقدمة، لقد أوشكت أن تعدم كثيرٌ من المبادئِ والأصول الإسلامية في بعض مجتمعاتنا ، وبالتربية يمكنُ معالجةُ هذا الوضع.

٣- إيجادُ الحصانة الذاتية لدى الولد، فلا يتأثرُ بما يقابلهُ من شهوات وشبهات.

٤- التربيةُ مهمة لتحمل الشدائد والمصائب، والفتن التي قد يواجهها الولد في مستقبل حياته .

٥- التربية تهيئ الولد للقيام بدوره المنوط به ؛ لنفع نفسه ونفع مجتمعه وأمته.

٦- وجود الحملة الشرسة ، لإفسادِ المجتمعِ من قِبَل أعداء الإسلام، فلابد أن تُقابل بتربيةٍ للأولادِ حتى يستطيعوا دفعها عن أنفسهم ومجتمعهم .

٧- التربيةُ تحققُ الأمنَ الفكري للولدِ، فتبعدهُ عن الغلو، وتحميهِ من الأفكارِ المضادةِ للإسلام، كالعلمانية وغيرها.

٨- تقصير المؤسساتِ التربويةِ الأخرى، في أداء وظيفتها التربويةِ كالمدرسة والمسجد .

٩- ظهور الموبقات والرذائل جهارا نهارا في الشوارع والأماكن العامة من بعض أبناء المسلمين.

ـ الأبناء نعمة من النعم

إن الأولاد من أعظم نعم الله على عباده التي تلتقي مع فطرهم وغرائزهم ، ولهذا ذكر الله من منته على خيار خلقه الأزواج والذرية فقال سبحانه { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} [الرعد: ٣٨] وكما قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف:٤٦].

وقال تعالى: { وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ}. [النحل: ٧٢].

والنفس البشرية جبلت على حب الأولاد والذرية الصالحة ، قال تعالى عن زكريا: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء}. [آل عمران: ٣٨].

وقال تعالى حين ذكرَ صفات عباد الرحمن :{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: ٧٤]

والأبناء ذُخرٌ لآبائهم ورفع لدرجاتهم في الآخرة ، إذا أحسن الآباء تربيتهم ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)).[1]

وقال تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} [الطور: ٢١]

ـ الأبناء أمانة عند الوالدين

قال الغزالي رحمه الله : الصَّبِيُّ أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ ، وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَاذَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ، وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ مَا نُقِشَ فيه ، فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ وَعُلِّمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَشَارَكَهُ فِي ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ وَكُلُّ مُعَلِّمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ، وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأُهْمِلَ إِهْمَالَ الْبَهَائِمِ شَقِيَ وَهَلَكَ، وَكَانَ الْوِزْرُ فِي رَقَبَةِ الْقَيِّمِ عَلَيْهِ.[2] **وقد صرح رسول الله ﷺ بوظيفة الوالدين في تربية الأولاد** ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)).[3]

وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا }[التَّحْرِيم: ٦].

قال عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ، : عَلِّمُوهُمْ، وَأَدِّبُوهُمْ.

وقال ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ، ومُرُوا أَهْلِيكُمْ بِالذِّكْرِ، يُنْجِيكُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ.

---

[1] رواه مسلم (١٦٣١)

[2] موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص: ١٨٤)

[3] رواه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٢)

وقال قَتَادَة رَحِمَهُ اللَّهُ : يَأْمُرَهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَيْهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَأْمُرَهُمْ بِهِ وَيُسَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَ لِلَّهِ مَعْصِيَةً رَدَعْتَهُمْ عَنْهَا، وَزَجَرْتَهُمْ عَنْهَا.

قَالَ الضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ: حَقٌّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُعَلِّمَ أَهْلَهُ، مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ.[1]

ولقد اشتد حرص السلف على مباشرة هذه المهمة الجسيمة، حتى أن المنصور بعث إلى مَن في الحبس من بني أمية، يقول لهم: ما أشدُّ ما مَرَّ بكم في هذا المحبس؟ ، فقالوا: ما فقدنا من تربية أولادنا.[2]

فالأولاد أمانة عند الوالدين كلفهم الله بحفظها ورعايتها وهم أولى الناس بالبر وأحقهم بالمعروف، فكما أنك إذا أطعمتهم وكسوتهم وقمت بتربية أبدانهم فأنت قائم بالحق مأجور عليه. فكذلك بل أعظم منه إذا قمت بتربية قلوبهم وأرواحهم بالعلوم النافعة والمعارف الصادقة والتوجيه للأخلاق الحميدة والتحذير من ضدها.

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منَّا ... على ما كان عوَّدهُ أبوه

وما دان الفتى بحجىً ولكن ... يعوِّدُه التدينَ أقربوه

ـ إنها المسؤولية الثقيلة

إن مهمة تربية الأولاد مهمة عظيمة يجب على الآباء أن يحسبوا لها حسابها ويعدوا العدة لمواجهتها ، خصوصا في هذا الزمان الذي تلاطمت فيه أمواج الفتن واشتدت

---

[1] تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٣) وتفسير ابن كثير (٨/ ١٦٧)

[2] محو الأمية التربوية (١/ ١٩)

غربة الدين وكثرت فيه دواعي الفساد حتى صار الأب مع أولاده بمثابة راعي الغنم في أرض السباع الضارية إن غفل عنها أكلتها الذئاب.[١]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا،.... فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)).[٢]

وعَنْ أَنَس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ)).[٣]

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِرَجُلٍ: يَا هَذَا أَحْسِنْ أَدَبَ ابْنِكَ فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عن أَدَبِهِ وَتَعْلِيمِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ بِرِّكَ وطاعته لك.

وعَنِ الْحَسَنِ البصري رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ وَعَظَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ فَقَالَ: يَا أَهْلِي صَلاَتَكُمْ صَلاَتَكُمْ ، زَكَاتَكُمْ زَكَاتَكُمْ ، جِيرَانَكُمْ جِيرَانَكُمْ ، مَسَاكِينَكُمْ مَسَاكِينَكُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَثْنَى عَلَى عَبْدٍ كَانَ هَذَا عَمَلَهُ فَقَالَ: {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم: ٥٥].[٤]

---

[١] تذكير العباد بحقوق الأولاد (ص: ٤)

[٢] رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩)

[٣] رواه النسائي (٩١٢٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦٥)

[٤] النفقة على العيال لابن أبي الدنيا (١/ ٥٠٦)

فعلى الآباء أن يستشعروا أهمية هذه التربية المنوطة بهم ، وأنه من الإساءة للأبناء والإخلال بالأمانة التي استودعها الله لهم أن يتركوهم بدون تربية وتوجيه.

يقول ابن القيم رحمه الله : وصيةُ الله للآباء سابقةٌ على وصية الأولاد بآبائهم، قال الله تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ } [الإسراء: ٣١].[١]

ـ مظاهر الإهمال في التربية

للأسف تحوَّل كثيرٌ من الآباء في هذا الزمان إلى مجرد وزارة مالية ، وصارت المهمة تربية أبدان فارغة من العقول؟!

تحولت بعض أو كثير من بيوتنا من محضن تربوي إلى مجرد معلف أو لوكاندة أو فندق للنوم وفقط؟. هل يُعقل أن أبًا يمرُّ عليه أسابيع لا يرى أبناءه أو بعضهم؟

هذا الأبُ الذي يغيب عن حياة أبنائه ، ولا يجلس معهم إلا منهكا آخر الليل أمام الشاشة ليشاهد فيلما أو مسلسلا ولا يتكلم معهم في أي شيء يخصهم .. في أي خانة يوضع؟

أليس أمثال هؤلاء قد قدموا استقالة جماعية عن تربية أبناءهم ورعايتهم، أعني التربية فمفهومها الصحيح والرعاية بمعناها الشامل.

ألا يمكنُ أن يُعدَّ أبناءُ أمثالهم في عدادِ الأيتام ، أعني تربويا ، فإن بعض الآباء حيٌّ لكنَّه كالميت، أبناؤه أيتام في حياة أبيهم.. كما قال الشاعر:

ليس اليتيمُ مَن انتهى أبواه مِنْ .. .. هَمِّ الحياةِ وخلَّفاه ذليلا

إنَّ اليتيمَ الذي تَلْقَى له .. .. أُمَّاً تَخَلَّتْ أو أَبًا مَشْغُولا[٢]

---

[١] تحفة المودود بأحكام المولود (ص: **٢٢٩**)

[٢] الشعر لأحمد شوقي، انظر: الشوقيات، **١/ ١٨٣**.

فمن الظلم إذا كان هذا حال المربين أن نسخط على أبنائنا لسوء خلقهم أو كثرة أخطائهم، أو قبح فعالهم.

قال ابن القيم رحمه الله : مَن أهمل تَعْلِيم وَلَدِه مَا يَنْفَعهُ وَترَكه سُدى فقد أَسَاءَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِسَاءَة وَأَكْثرُ الْأَوْلَاد إِنَّمَا جَاءَ فسادُهم مِنْ قِبَلِ الْآبَاء وإهمَالِهم لَهُم وَترْكِ تعليمِهم فَرَائضَ الدّينِ وسُنَنِهِ فأضاعوهم صغَارًا فَلم ينتفعوا بِأَنْفسِهِم وَلم ينفعوا آبَاءَهُم كبارًا ، كَمَا عَاتَبَ بَعضُهم وَلَدَه على العقوق فَقَالَ : يَا أَبَتِ إِنَّك عققْتَني صَغِيرا فعققْتُك كَبِيرا وأضعْتَني وليدا فأضعْتُك شَيخا.[1]

وقال أيضًا: وَكم مِن إنسانٍ أَشْقَى وَلَدَه وفلذةَ كبدِه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة بإهمالِه وَترك تأديبِه وإعانتِه لَهُ على شهواتِه وَيَزْعُمُ أَنه يُكرمُهُ وَقد أهانَه وَأَنه يرحمُه وَقد ظلمَه وَحرمَه ، ففاتَه انتفاعُه بولدِه وفوَّتَ عَلَيْهِ حَظَّه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة ، وَإِذا اعْتبرتَ الْفسادَ فِي الْأَوْلَادِ رَأَيْتَ عامتَهُ مِنْ قِبَلِ الْآبَاء.[2]

وما أجمل ما قال أحدهم: إن الأب الذي أهدى الدش إلى أبنائه إنما هو الذي أهدى أبناءه إلى الدش؛ ليربيهم ويوجههم وِفْقَ ما يريد، وهو بارعٌ في تلقينهم فنونَ العشقِ والغرام، فينشأون وقد تحطمت فيهم مبادئُ الخلُقِ والعفةِ والفضيلة.

عن مَعْقِل بْن يَسَارٍ الْمُزَنِيّ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)).[3]

---

[1] تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٢٢٩)

[2] تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٢٤٢)

[3] رواه مسلم (١٤٢)

وفي رواية: ((فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ)).[١]

وعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو ﷺ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ)).[٢]

ففي هذين الحديثين دليلٌ على عظم المسئولية الملقاة على عاتق الأبوين تجاه أبنائهم، وأن انشغالهم عنهم له عواقب وخيمة ونتائج محزنة.

ـ أثر إهمال تربية الأولاد على الولد وعلى المجتمع

- ظهور أجيال ليس لها أي أهداف ولا غايات.
- ضياع الأصول والمبادئ والقيم في مجتمعاتنا.
- انتشار الفواحش والأمراض الأخلاقية في المجتمع.
- ظهور العقوق والتفكك الأسري وعقوق الوالدين.
- انحطاط الأمة الإسلامية وذلها لأعداء الدين ، فالأمة بشبابها بعد إيمانها بربها.

- مفهوم التربية:

هي : تنشئةُ المسلمِ وإعدادهُ إعداداً كاملاً من جميع جوانبه، لحياتي الدنيا والآخرة في ضوء الإسلام **وإن شئتَ قُل :** هي الصياغةُ المتكاملة للفرد والمجتمع على وفقِ شرع الله تعالى.

- جوانب التربية:

إن التربية ليست قاصرة على تربية الجسم فقط، وليست قاصرة على تعريفِ الولدِ ببعض الأخلاقِ والآداب فقط، بل هي أوسعُ وأشمل من هذا وإليك بعض جوانبها :

ـ التربية على الاعتقاد الصحيح

---

[١] رواه البخاري (٧١٥٠)

[٢] رواه النسائي (٩١٣١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٢٧) وأصله في مسلم (٩٩٦)

خير ما يُربى عليه الأبناء، وآكد وأوجب ما يُراعى في تربية الأبناء : التربية الإيمانية، فأول ما يغرس الوالدان في قلب الولد الإيمان بالله عز وجل الذي من أجله خلق الله خلقه وأوجدهم: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦] .

وقال الله تعالى عن لقمان في وصيته لولده : {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:١٣] ، فأول ما ابتدأ به وأول ما دله عليه في وعظه ونصحه وتوجيهه، أن ذكرهُ بحق الله جل جلاله، وبين له أن ضياع هذا الحق هو الظلم العظيم؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه.[١]

وقال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما ((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)).[٢]

ـ تنمية المراقبة الذاتية في نفوس الأبناء

لقد ركز منهج الإسلام في التربية على تنمية جانب المراقبة لله عزَّ وجلَّ في النفس الإنسانية خصوصًا الأبناء، قال الله تعالى عن لقمان الذي أرشد ولدَه إلى هذه المراقبة: { يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ١٦]

---

[١] فقه الأسرة (٤/ ٩)

[٢] رواه الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣١٨)

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: ((يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ)).[١]

ـ التربية على الصلاة وسائر الواجبات

قال الله تعالى لنبيه ﷺ وللمؤمنين تبعا له{ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه: ١٣٢]

وأثنى الله على نبيه إسماعيل عليه السلام :{ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم: ٥٥]

وعَنْ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)).[٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه , قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع)).[٣]

قال البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى: باب ما على الآباء والأمهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة. ثم ساق بسنده الحديث المتقدم.[٤]

- التربية على الصوم إذا أطاقوه

---

[١] رواه الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣١٨)

[٢] رواه أبو داود (٤٩٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٢٢)

[٣] رواه البزار (٩٨٢٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٧٤٤)

[٤] السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٨٣)

قال ابن حجر رحمه الله : واستحب جماعة من السلف منهم ابن سيرين والزهري، وقال به الشافعي أنهم يؤمرون به للتمرين عليه إذا أطاقوه.[١]

-وكذا الحج

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: رَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ)).[٢]

ـ تعليم الأبناء القرآن الكريم

عَنْ عُثْمَانَ بن عفان رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)).[٣]

وللأبوين الأجر العظيم إذا صبرا على تعليم ولدهما القرآن ، عن بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِدَيْهِ حُلَّتَانِ لَا يَقُومُ بِهِمَا الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَا كُسِينَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ)).[٤]

قال السيوطي رحمه الله : تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكين الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال.

---

[١] فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٠٠)

[٢] رواه مسلم (١٣٣٦)

[٣] رواه البخاري (٥٠٢٧)

[٤] رواه الحاكم(١/ ٧٥٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٩)

يقول أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ : وللقوم في التعليم سيرة بديعة وهي أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب.[١]

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه : بَابُ تَعْلِيمِ الصِّبْيَانِ الْقُرْآنَ.

ثم ساق أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول – مفتخرًا بما مَنّ الله عليه –: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ.[٢]

قال الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ : حَفِظْت الْقُرْآنَ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، وَحَفِظْت الْمُوَطَّأَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ.[٣]

ـ تعليمهم الآداب الشرعية

– **قال علي بن المديني** رَحِمَهُ اللَّهُ : توريث الأولاد الأدب، خيرٌ لهم من توريث المال، الأدب يكسبهم المال، والجاه والمحبة للإخوان، ويجمع لهم خيري الدنيا والآخرة.[٤]

ومما يساعد على ذلك: تكوين مكتبة صغيرة في المنزل تحتوي على المختصرات المفيدة في الآداب، وكتب السيرة، لا سيما ما يتعلق بأخلاق النبي ﷺ وغزواته، وكتب قصص الأطفال التربوية الهادفة.

ـ تربيتهم بالقدوة الفعلية

تعتبر القدوة من أهم وأبرز ما يعين على غرس الصلاح والاستقامة في نفوس الأبناء.

---

[١] أحكام القرآن (٤/ ٣٤٩)

[٢] رواه البخاري (٥٠٣٥)

[٣] طرح التثريب في شرح التقريب (١/ ٩٥)

[٤] منهج التربية النبوية. ص(٢٨٩).

قال عمرو بن عتبة ينبه معلم ولده لهذا الأمر : ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت. تأديب الناشئين.[١]

ودخل أحدهم مع أولاده على **إبراهيم الحربي** رَحِمَهُ اللَّهُ ، فسأله إبراهيم: هؤلاء أولادك؟ فقال الرجل نعم، قال إبراهيم: احذر أن يروك حيث نهاك الله فتسقط من أعينهم.[٢]

فالوالدان مطالبان بتطبيق أوامر الله تعالى وسنة رسوله ﷺ سلوكًا وعملاً ، والاستزادة من ذلك ما وسعهم، لأن أبناءهم في مراقبة مستمرة لهم صباحًا مساء وفي كل آن.

ـ اختيار الأصحاب لأبنائهم ومعرفة مَن يجالسون

قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ : وَأَصْلُ تَأْدِيبِ الصِّبْيَانِ الْحِفْظُ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ.[٣]

وقد بيَّن النبي ﷺ أثر الرفيق والصاحب إيجابًا وسلبًا في **حديث أَبِي مُوسَى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)).[٤]

---

[١] لابن عبد ربه ص(١٢٥).

[٢] بحوث تربية الفتاة المسلمة (١/ ١٦٥)

[٣] موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص: ١٨٤)

[٤] رواه البخاري (٥٥٣٤) ومسلم (٢٦٢٨)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)).[١]

وقد قيل:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

إِذَا كُنْت فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... وَلَا تَصْحَبْ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي[٢]

ـ حمايتهم مما يخرم الدين ويخدش المروءة

قال ابن القيم رحمه الله : ويجب أن يتجنب الصبي إذا عقل: مجالس اللهو والباطل، والغناء وسماع الفحش، والبدع، ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر، وعز على وليه استنفاذه منه .[٣] وهذا حقٌّ، فإن الوقاية من شرور هذه المنكرات أفضل بكثير من معالجة الصبي بعد تعلقه وشغفه بها.

وكتب عمر بن عبد العزيز لمؤدب ولده قائلاً: ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن جل جلاله، فإنه قد بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما يُنبت الماء العشب.[٤]

---

[١] رواه الترمذي (٢٣٧٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦٤)

[٢] أدب الدنيا والدين (ص: ١٦٦)

[٣] تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٢٤٠)

[٤] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢٥٠)

ومن ذلك: الكتب والمجلات والقنوات التي تحمل أفكارًا منحرفة تؤدي إلى زعزعة الإيمان وإدخال الشبهات؛ لأن هذه الوسائل لها تأثير بالغ على الأبناء، لا سيما مع تدفق هذا السيل الجارف من القنوات الفضائية التي يبث فيها كل غث وسمين.

- تحذير الأولاد من التقليد الأعمى

فمن أهم ما ينبغي للأبوين تحذير الولد من الانسياق وراء التقليد الأعمى بلا رؤية ولا تفكير، وتوعيته من الانزلاق وراء التشبه بلا تبصرة ولا هدى... وذلك لأن التقليد الأعمى دليل على الهزيمة الروحية والنفسية، وسبب لفقدان الشخصية، وسبب للاندفاع إلى فتنة الحياة الدنيا ومظاهرها، وهذا بلا شك يؤدي بصاحبه إلى الغرور والانحلال.

الرفق رأس الحكمة

معنى الرفق مجالات الرفق .
الرفق في حياة النبي ﷺ والصحابة والتابعين.

مقدمة .

فإن الله تعالى وضع قواعد دينه الذى شرَعه لعباده وجعل مبناها على التيسير والرفق, فلم يرد الله بالناس إلا الخير فيما شرع وأمر حتى يسهل عليهم أن يستقيموا ويستجيبوا لأمر خالقهم سبحانه وتعالى. قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وَعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[١].

معنى الرفق:

الرِّفْقُ: هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف[٢].

قال الغزالي رحمه الله: اعْلَمْ أَنَّ الرِّفْقَ مَحْمُودٌ وَيُضَادُّهُ الْعُنْفُ وَالْحِدَّةُ وَالْعُنْفُ نَتِيجَةُ الْغَضَبِ وَالْفَظَاظَةِ, والرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق وَلَا يَحْسُنُ الْخُلُقُ إِلَّا بِضَبْطِ قُوَّةِ الْغَضَبِ وقوة الشهوة وحفظهما عَلَى حَدِّ الِاعْتِدَالِ[٣].

---

[١] أخرجه البخاري (٣٩).

[٢] فتح الباري لابن حجر (١٠/٤٤٩),وانظر النهاية لابن الأثير (٢/٢٤٦), تهذيب اللغة للأزهري (٩/١٠٠).

[٣] إحياء علوم الدين للغزالي (٣/١٨٤).

مجالات الرفق:

١-الرفق في الدين:

وهو من أعظم مجالات الرفق كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ»[١].

قال الزرقاني رحمه الله: والوغول: الدخول، فكأنه قال: إن هذا الدين -مع كونه يسيرًا سهلاً- شديدًا، فبالغوا فيه بالعبادة، لكن اجعلوا تلك المبالغة مع رفق، فإن من بالغ بغير رفق وتكلّف من العبادة فوق طاقته يوشك أن يملّ حتى ينقطع عن الواجبات، فيكون مثله كمثل الذي يعسف الركاب, ويحملها من السير على ما لا تطيق رجاء الإسراع، فينقطع ظهره، فلا هو قطع الأرض التي أراد، ولا هو أبقى ظهره سالمًا ينتفع به بعد ذلك[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[٣].

قال أبو الزناد رحمه الله: والمراد بهذا الحديث الحض على الرفق فى العمل[٤].

ولا يفهم من هذه الأحاديث أن يتكاسل المرء عن العمل, لكن المقصود من ذلك ألا يحمل المرء نفسه إلا على ما تطيق من النوافل مع الإتيان بالواجبات

---

[١] أخرجه أحمد (١٣٠٥٢), وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٢٤٦).

[٢] شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٥/ ٣٦١).

[٣] أخرجه البخاري (٣٩).

[٤] شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٩٦).

وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو في الدين بقوله ﷺ للنفر الثلاثة: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[١].

٢- الرفق في الدعوة:

وَالقَوْلُ اللَّيِّنُ وَالتَّصَرُّفُ الرَّفِيقُ أَوْقَعُ فِي النُّفُوسِ، وَأَبْلَغُ فِي تَحْقِيقِ المَطْلُوبِ، وَأَدْعَى إِلَى الإِجَابَةِ وَالقَبُولِ، لاسِيَّمَا فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ الله عز وجل لمُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ حِينَمَا بَعَثَهُمَا إِلَى طَاغِيَةِ الأَرْضِ فِرْعَوْنَ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، وَأَوْصَى اللهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: ٥٣]، ولله در القائل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسان

وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ هِيَ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَلان الْكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[٢].

٣- الرفق بالوالدين:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ

وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣،٢٤].

---

[١] أخرجه البخاري (٥٠٦٣), ومسلم (٣٣٨٤).

[٢] أخرجه أحمد (١٣٣٨) , وصححه الألباني في مشكاة المصابيح(١٢٣٢).

قال الطبري رحمه الله: وكن لهما ذليلا رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبَّا[1].

٤- الرفق بذوي القربى والأرحام:

كالإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات, قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

٥- الرفق بين الزوجين:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[2]. وهذا للمسلمين عامة فكيف لو كان للزوج أو للزوجة؟!.

ومن الأمثلة على رفق الرجل بزوجته, كان من أخلاقه ﷺ أنه جميلُ العِشرة دائم البِشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ إِذَا اشْتَكَيْتُ رَحِمَنِي وَلَطَفَ بِي[3].

ومن الأمثلة على رفق المرأة بزوجها ما ذُكِرَ عن خديجة رضي الله عنها في حديث بدأ

---

[1] تفسير الطبري (١٧/ ٤١٨).

[2] أخرجه الترمذي (١٩٥٦), وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨).

[3] هذه اللفظة في تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٣٣٠), والحديث مفصلاً في البخاري برقم (١٧٤٨).

الوحي لما جاء النبي ﷺ خائفًا يشتكى فَقَالَتْ لَهُ: كَلاَّ، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ
عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ[1].

٦-الرفق بغير المسلمين:

والمقصود به حسن التعامل معهم ولين الجانب لهم كما أمر الله عز وجل وأمر نبيه ﷺ بما لا يخالف شرع الله وسنة نبيه ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ ﷺ: «مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ» قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»[2].

أَرْشَدَهَا ﷺ إِلَى الرِّفْقِ الْمَبْنِيِّ عَلَيْهِ بَابُ الْمُدَارَاةِ وَتَرْكِ الْمُعَادَاةِ وَالْمُعَانَاةِ.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: لأصحابه تدرون ما الرفق؟ قالوا قل يا أبا محمد. قال: أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه.[3]

٧-الرفق بالبهائم:

---

[1] أخرجه البخاري (٣), ومسلم (٣٢٢).
[2] أخرجه البخاري (٦٠٣٠).
[3] إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٦).

عن عبد الله بن جعفرٍ رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ دخل حائطاً لرجلٍ من الأنصار، فإذا جملٌ، فلما رأى النبيَّ ﷺ حَنَّ وذَرَفَت عيناه، فأتاه النبيُّ ﷺ فمسح ذِفْرَاه[1] فسكتَ، فقال: «من ربُّ هذا الجملِ؟ لمن هذا الجملُ»؟ فجاء فتًى من الأنصارِ، فقال: لِي يا رسول الله، قال: «أفلا تتقي اللهَ في هذه البهيمةِ التي مَلَّكَكَ اللهُ إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تُجِيعُه وتُدْئبه»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[3].

قال ابن بطال رحمه الله: فى هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها, وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، ألا ترى أن الذى سقى الكلب الذى وجده بالفلاة لم يكن له ملكًا فغفر الله له. وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[4].

٨-الرفق بالضعفاء والجهلاء:

---

١ ذفراه: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الاذن. تاج اللغة وصحاح العربية للأزهري (٦٦٣/٢).

٢ أخرجه أبو داود (٢٥٤٩), وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٩٧).

٣ أخرجه البخاري(٦٠٠٩),ومسلم(٥٩٢١).

٤ شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٢١٩). والحديث أخرجه البخاري (٥٩٩٧)ومسلم (٦٠٩٧).

عَنْ سَهْلٍ الساعدي ﷺ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى[١].

قال ابن بطال رحمه الله: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك[٢].

وعَنْ جَابِر بن عبد الله ﷺ قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ، قَالَ: «أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ»؟ قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا، فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتْ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَدَقَتْ صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ»؟[٣].

فالرِّفقُ يكون في الأمورِ كلِّها والرِّفقُ مع الناسِ واللِّينُ مَعَهُمْ والتيسيرُ عليهم من أعظمِ أبوابِ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ، بل من أَعْظَمِ صفاتِ الكمالِ التي يسودُ بها العُظَماءُ من البشرِ، يُحبُّها اللهُ سبحانه وتعالى، ويُعطي عليها من الأجرِ والثوابِ

---

[١] أخرجه البخاري (٥٣٠٤).

[٢] فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٣٦).

[٣] أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠),وقال الألباني صحيح لغيره , وانظر التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/ ٤٢).

ما لا يُعطي على غيرِها, وصاحبُ الرِّفقِ قريبٌ من الناسِ هيِّنٌ سهلٌ رقيقٌ رحيمٌ مُحرَّمٌ على النارِ، وقد قال النبي ﷺ : «حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ»[1].

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ[2].

الرفق في حياة النبي ﷺ والصحابة والتابعين:

لقد وصف الله عز وجل رحمة نبيِّه ﷺ ورفقه بأمته بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمه الله: هَذَا خُلُقُ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ.

قال ابن كثير رحمه الله: أَيْ لَوْ كُنْتَ سيِّئَ الْكَلاَمِ قَاسِيَ الْقَلْبِ عَلَيْهِمْ لَانْفَضُّوا عَنْكَ وَتَرَكُوكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَمَعَهُمْ عَلَيْكَ، وَأَلَانَ جَانِبَكَ لَهُمْ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِهِمْ، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه: إِنَّهُ رَأَى صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ: أَنَّهُ

[1] أخرجه أحمد (٣٩٣٨), وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٣٥).
[2] أخرجه الترمذي (٢٠١٣), وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٥٥).

لَيْسَ بفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخّاب فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ[١].

ومن الأمثلة على ذلك:

دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم ورفقا بهم، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: تَلاَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الآيَةَ، وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى» فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ»؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ ، وَلاَ نسوؤك»[٢].

قال النووي رحمه الله: هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم[٣].

وعَنْ جَابِر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»[٤].

---

[١] تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٨),والحديث أخرجه البخاري(٤٨٣٨).

[٢] أخرجه مسلم(٤١٩).

[٣] شرح النووي على مسلم (٣/ ٧٨).

[٤] أخرجه مسلم(٢٢٨٥).

وسجل الصحابة والتابعون أروع الأمثلة في الرفق والرحمة في جميع مجالاتها:

فهذا أبوبكر الصديق ﷺ لم يبق شيئا في بيت المال إلا أنفقه، ولما قيل له ألا تجعل على بيت المال من يحرسه قال: لا يُخشى عليه. ولما مات دخلوا بيت المال فلم يجدوا فيه سوى خَيشةٍ نفضوها فلم يجدوا فيها إلا درهما فترحموا عليه جميعا.

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ خرج ذات ليلة فسمع بكاء صبى فتوجه نحوه فقال لأمه اتق الله وأحسني إلى صبيك ثم عاد إلى بكائه فعاد إلى أمه مرة بعد مرة كل ذلك يقول: اتق الله، وأحسني إلى صبيك, ثم قال لها: إني لأراك أُمَّ سُوءٍ، مالي

أرى ابنك لا يقر. قالت: يا عبد الله، قد أبرمتني منذ الليلة إني أريغه على الفطام فيأبى, قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطم، قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهرا. قال: ويحك لا تعجليه. فصلى الفجر، ثم قال: بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين؟ ثم أمر مناديا فنادى: لا تعجلوا صبيانكم من الفطام، فإنا نفرض لكل مولود. وكتب بذلك إلى الآفاق[1].

[1] مسند الفاروق لابن كثير (٢/ ٤٧٩).